

قصة الرضيع الأفغاني الضائع.. منذ فقدانه في «فوضى المطار» وحتى عودته لأهله



كابول - رويترز

التأم شمل رضيع بأقاربه في كابول، السبت، عقب العثور عليه إثر فقدانه عندما سلمه والده لجندي عبر سياج المطار وسط الفوضى التي سادت عملية الإجلاء الأمريكية من أفغانستان.

كان عمر الطفل سهيل أحمددي، شهرين فقط، عند انفصاله عن الأسرة في 19 أغسطس/ آب حين اندفع الآلاف في محاولة لمغادرة أفغانستان عقب سقوطها في أيدي حركة طالبان.

وفي أعقاب تقرير حصري نشرته «رويترز» في نوفمبر/ تشرين الثاني مع صور الطفل المفقود، تم تحديد مكانه في كابول، حيث عثر عليه سائق سيارة أجرة يدعى حامد صافي (29 سنة) في المطار، وأخذه إلى بيته لتربيته.

وبعد مفاوضات ومناشدات استمرت أكثر من سبعة أسابيع، بل واعتقال شرطة «طالبان» صافي لفترة قصيرة وافق سائق سيارة الأجرة في النهاية على إعادة الطفل إلى جده وأقاربه الذين لا يزالون في كابول وسط فرحة عارمة. وقال أهل الطفل إنهم سيعملون الآن من أجل أن يجتمع شمله بوالديه وأشقائه الذين تم إجلاؤهم قبل أشهر إلى الولايات

المتحدة.

وخلال البلبلة التي صاحبت عملية الإجلاء من أفغانستان أثناء الصيف كان ميرزا علي أحمددي، والد الطفل الذي عمل حارساً أمنياً في السفارة الأمريكية، وزوجته ثريا، يخشيان أن ينسحق ابنهما في الزحام أثناء اقترابهما من بوابات المطار في طريقهما لاستقلال طائرة متجهة إلى الولايات المتحدة. وقال أحمددي لـ«رويترز» في أوائل نوفمبر/ تشرين الثاني، إنه سلم سهيل بدافع الشعور باليأس في ذلك اليوم عبر سياج المطار إلى جندي أمريكي، فيما يعتقد وهو يتوقع تماماً أنه سيتمكن من اجتياز الأمتار الخمسة الباقية حتى البوابة لاستعادته.

في تلك اللحظة دفعت قوات طالبان المتجمهرين إلى الوراء لتمر نصف ساعة أخرى قبل أن يتمكن أحمددي وزوجته وأطفالهما الأربعة الآخرون من الدخول. لكنهم لم يعثروا للطفل الرضيع على أثر. وقال أحمددي إنه بحث باستماتة عن ابنه داخل المطار، ورجح له المسؤولون أن يكون قد نُقل بالفعل إلى خارج البلاد على رحلة منفصلة ومن الممكن أن يلحق بالأسرة فيما بعد. وتم إجلاء بقية أفراد الأسرة، وانتهى بها الحال في النهاية في قاعدة عسكرية بتكساس. ومرت أشهر من دون أن تعرف الأسرة شيئاً عن مصير ابنها.

وتسلط هذه الحالة الضوء على محنة آباء كثيرين انفصلوا عن أطفالهم خلال فوضى عملية الإجلاء العاجلة وانسحاب القوات الأمريكية من البلاد بعد حرب استمرت 20 عاماً. ولعدم وجود سفارة أمريكية في أفغانستان، ولشدة الضغط على المنظمات الدولية، واجه اللاجئون الأفغان صعوبة في الحصول على إجابات عن تساؤلاتهم عن توقيت التنازل الشمل بأفراد أسرهم، أو إمكانية. ولم ترد وزارات الدفاع والخارجية والأمن الداخلي الأمريكية على طلبات التعليق على هذا التقرير، السبب.

وحيد في المطار

في اليوم ذاته الذي انفصل فيه أحمددي وأسرته عن الطفل الرضيع تسلل السائق صافي عبر بوابات مطار كابول بعد أن قام بتوصيل أسرة شقيقه التي كان من المقرر إجلاؤها أيضاً. وقال صافي إنه وجد سهيل يبكي وحيداً على الأرض. وبعد أن فشل في محاولة العثور على والدي الطفل داخل المطار قرر العودة به إلى البيت لزوجته وأطفاله. ولصافي ثلاث بنات، وقال إن أعظم أمنيات والدته قبل وفاتها أن يكون له ولد.

وأضاف: «قررت في تلك اللحظة أن أحتفظ بهذا الرضيع. وإذا ظهرت أسرته فسأعطيها لها. وإذا لم تظهر فسأربيه أنا»، مشيراً إلى أنه أخذ الطفل إلى الطبيب لفحصه بعد العثور عليه وسرعان ما أصبح الطفل فرداً من أفراد الأسرة. وأطلقت الأسرة على الطفل اسم محمد عابد، ونشرت صورته مع صور أطفالها على صفحة على «فيسبوك». وبعد نشر تقرير «رويترز» عن الطفل المفقود تعرف بعض جيران صافي، الذين لاحظوا عودته من المطار قبل أشهر ومعه رضيع، على الصور ونشروا تعليقات عن مكان وجوده على نسخة مترجمة من التقرير. وطلب أحمددي من أقاربه المقيمين في أفغانستان، ومنهم والد زوجته، محمد قاسم رضوي (67 عاماً) الذي يعيش في إقليم بدخشان في الشمال الشرقي البحث عن صافي والمطالبة بإعادة الطفل للأسرة. وقال رضوي إنه سافر على مدى يومين وليلتين إلى العاصمة حاملاً هدايا من بينها خروف مذبح وعدة كيلوجرامات من الجوز وبعض الملابس لصافي وأسرته.

لكن صافي رفض التخلي عن سهيل، وأصر على أنه يريد أيضاً إجلاءه عن أفغانستان هو وأسرته. وقال شقيق صافي الذي تم إجلاؤه إلى كاليفورنيا إن صافي وأسرته لم يتقدموا بطلبات لدخول الولايات المتحدة.

وطلبت أسرة الرضيع مساعدة الصليب الأحمر الذي تشتمل أهدافه على لم شمل من فرقتهم الأزمات الدولية، لكنها قالت إنها لم تتلق معلومات تذكر منه. وقال المتحدث باسم الصليب الأحمر إن المنظمة لا تعلق على حالات فردية. وفي النهاية، وبعد الشعور بأن كل الخيارات نفذت، اتصل رضوي بشرطة «طالبان» المحلية للإبلاغ عن خطف الطفل. وقال صافي إنه «نفى الاتهامات في أقواله للشرطة وإنه يرفع الطفل ولم يخطفه».

وحققت الشرطة في البلاغ، إذ قال قائد الشرطة المحلية إنه «ساعد في ترتيب تسوية تضمنت اتفاقاً وقعه الطرفان ببصمات الأصابع». وقال رضوي إن «أسرة الطفل وافقت في النهاية على تعويض صافي بنحو 100 ألف أفغاني (950 دولاراً) عن المصروفات التي أنفقها لرعاية الطفل على مدار خمسة أشهر».

وفي حضور الشرطة ووسط دموع منهمرة عاد الطفل أخيراً، السبت، إلى أقاربه.

وأوضح رضوي أن صافي وأسرتة حزنوا حزناً شديداً لفراق سهيل. وأضاف: «كان حامد وزوجته بيكيان. وأنا بكيت أيضاً، لكنني طمأنتهما قائلاً إنكما شابان وسيمنحكما الله الولد. ليس واحداً فقط، بل عدداً من الأولاد. وشكرتهما على إنقاذ الطفل من المطار».

وقال والد الرضيع إن «الفرحة غمرتتهما عندما تمكنا من رؤيته ومشاهدة التثام الشمل بالعائلة عبر مكالمة بالفيديو». والآن يأمل أحمددي وزوجته وأطفالهما، أن يتم قريباً نقل سهيل للعيش معهم في الولايات المتحدة، بعد أن تمكنوا في أوائل ديسمبر/ كانون الأول من الانتقال من القاعدة العسكرية للإقامة في شقة بميشيجان.